ذات يوم أمطرت هنا

إبراهيم صلاح

قصص

ذات يوم أمطرت هنا

المؤلف : إبراهيم صلاح

الطبعة الأولى 2012

دار الحلم للنشر والتوزيع
القاهرة ،4ش الأشراف- تقسيم العسال- شارع
مؤسسة الزكاة – المرج

موبايل :
01141824562
:E-Mail
dar_el7elm@Hotmail.com

المدير العام :
د/ اسلام فتحي

تصميم الغلاف :
محمد عبد القوي مصيلحي

الإخراج الداخلي :

البوسطجي Media

رقم الايـداع : 2012/14663

التـرقيم الدولي : 9-1 -6412- -977 978

جميع الحقوق محفوظة ©

إهداء...

إلى منساندني كثيرا ...

إلى من رافقني الرحلة ...

إلى من شاركني الإخفاق قبل النجاح

إلى من دفعني نحو الأفضل ...

إليكم جميعا ....

ما كنت سأفعلها .... دونكم ...

أتوقعها كذلك

استقبلت أقدامي درجات السلم والمعاناة تعتلي وجهي، فقد صار كل ما أكرهه في الوقت الحالي هو ذلك العدد المهول من الدرجات الذي أقوم بعده كل يوم.. يا لها من تجربة قاسية؛ تجربة الصعود هذه بالنسبة لرجل في العقد التاسع من عمره.

أصعد ببطء شديد..

يتزايد إيقاع أنفاسي..

أتحامل على نفسي.. وأرفض الاستسلام كعادتي.

أعد درجات السلم، أتوق لبلوغ خط النهاية فأستسلم في النهاية وأجلس لأستريح بعض الشيء وألتقط أنفاسي..

أتذكر أيام احتلال الشعر الأسود للرأس، حينها ما كان ليوقفني شيء.. كنت افعل ما يحلو لي في الوقت الذي أقرره.

دمعت عيني لذكر هذه الأيام..

كانت أمنيتي الوحيدة، عدم الوصول لمرحلة الحسرة على ما ضاع من شباب وعمر وصحة.

أعيش وحيدًا.. لا يعرفني في الحي الذي أسكنه أحد ولا حاول أحد.

فما الفائدة المرجوة من معرفة رجل مسن ، لا يهوى الكلام ولا يكاد يرى، ويتميز بذاكرة ضعيفة..؟!

إلا أيام حياته في فترة الشباب.. يتذكرها جيدًا.

وتدمع عينه عندما يحدث ذلك..

صرت أنا والوحدة والإحزان تمامًا كالقلب والنبض لا نفترق أبدًا.

افتقدت أناس كثر.. أحببتهم كثيرًا لكنهم ذهبوا وتركوني وحيدًا.. كل الذين أحبهم وأتعلق بهم، أفتقدهم واحدًا تلو الأخر.. وأصبحت في النهاية وحدي للأبد..

أو كما يقول صديقي في بعض أبياته التي مازلت أحتفظ بها بين دفاتر ذاكرتي الواهنة:

مر الزمان..

والمد فاض..

بالبلاد.. وبالعباد.. وبالسنين

وفي النهاية انحسر

وقد تزوج من تزوج..

واستقال من استقال..

وانتحر من.. انتحر..!

أصبحت في النهاية وحدي للأبد...

أصبحت فيما يبدو.. أخر البشر..! (*)

قررت الابتعاد عن الذين أحبهم لكي يقل عدد الضحايا، فأنا كما ذكرت..

(أو ربما لم أذكر)

فأنا لم أعد أتذكر أي شيء!!

كل الذين أحببتهم افتقدتهم.. صار حبي بمثابة اللعنة التي تقع على من أحب.. كل أمنياتي الآن أن أموت مع شخص أحبه..

ولكن أين أجد ذلك الشخص؟

فكلهم ذهبوا.. ها هي أمنية أخري أمضغها..

وأنساها.....

وتدمع عيني من أجلها..

وصلت إلي الباب، قمت بفتحه ليكشف عن ظلمة حالكة لم أسعى إلى هزيمتها بإنارة أي شيء، حتى ولو شمعة.. بل واصلت تقدمي إلى أن وصلت إلي الغرفة، وقمت بإنارتها وجلست على مقعدي المفضل..

أصيل ذلك المقعد، لم يشأ تركي دون أشياء أحبها فقرر أن يقوم بهذا الدور.

مشاهد تعرض أمامي الآن من خلال شاشة، قمت بإعطائها الأمر للعمل.

إنها الآن تعرض أكثر المشاهد حزنًا بالنسبة لي..

فريق كان ومازال له مكان في قلبي.. أعاد ذكرى صديقي وأخي.. كنا نشجع ونعلق معًا على هذا الفريق.

دمعت عيني..

قطَعت سيل المشاهد بضغطة من إصبعي.. حاولت النوم..

تذكرت أيام السهرات الجميلة، والأحاديث الممتعة والغير ممتعة.. ليتها تعود..

دمعت عيني

خيوط الفجر تعلن انتشارها على استحياء، فأحاول إغلاق عيني لخوض معركة مع الكوابيس.. ما عاد النوم يريحني ولا أن أبقي مستيقظًا أيضًا..!

نمت وأنا أتمني أن يكون هذا هو يوم اللحاق بمن أحب، ولكني استيقظت رغما عني.. أمنية أخري لم تتحقق!

تركني الفراش لأذهب.. وأبدأ يوم جديد..

ومأساة جديدة

ولتدمع عيني......

(*) الأبيات الواردة في النص، من قصيدة: (في انتظار البعث لثالث مرة)، للصديق محمد عبد القوي مصيلحي.

أسباب مقْنعة

تهادت إلي مسامعي أصوات خافتة، كضوء الحجرة التي أرقد فيها.. تبيّنت منها بعض الكلمات التي توضح حالة أعتقد إنها حالتي..

وعرفت أنني بسبب الحادث، فقدت تلك المساحة الهائلة التي نحفظ فيها كل شيء.....

الأسماء..

المواقف..

الأشكال..

كل شيء بالفعل!

ولسبب ما لا أعلمه استرحت للفكرة..!

قضيت أيامًا بعد معرفة سبب مجيئي إلي هذا المكان، بين مباضع الأطباء، وملاحظات الممرضين.. ملاحظات كثيرة..

وأدوية أكثر..

وبرامج علاجية لاستعادة الذاكرة.

ومن ضمنها السماح لأشخاص بزيارتي لعل رؤيتهم تثير خلاياي فأتذكر شيئًا مما مضي..

رفضت الفكرة طالبًا منهم تركي الآن، فأنا غير مستعد نفسيًا لخوض هذه التجربة.

وطلبت حصولي على بعض الصور لهم، قبل عرضهم علي..

وبعد أيام وجدت بين يدي دفتر يحمل نفس الاسم الذي يصرون أن ينادوني به، وحافظة جلدية رخيصة الثمن، وقديمة بعض الشيء بها العديد من الصور.

لا أدري كم من الوقت قضيته بين هذه الذكريات.. أقرأ وأطالع الصور وأحاول جاهدًا استرجاع أي شيء..

ولكن دون جدوى.

وبعد فترة استيقظت في يوم غير مميز.. يوم عادي، كبقية أيامي هنا..!

طلبت منهم السماح للمقربين لي بالزيارة.. وبعد مدة قصيرة وجدت شخصًا يجلس على مقربة من السرير.. يبكي بحرارة..

المفترض أنه كان - فيما سبق - أعز أصدقائي.. ومن واقع ما قرأت أنني كنت أشعر معه براحه نفسية غير عادية، ولكم جمعتنا مواقف وذكريات عديدة على مدار سنوات.

وكان حبه لي يتجلي في كل موقف، هكذا عرفت من حكايات الدفتر..

وها هو الآن يستمر في العطاء، وأراه أمامي وقد اعتصره الحزن.

ولكني وبعدما عرفت.. وبعد مدة طويلة قضاها أمامي باكيًا.. منهارًا..

لم أشعر تجاهه بأي شيء فأخذت أسأل نفسي:

ما الذي كان يريحني في هذا الوجه؟

مواقفه كثيرة معي.. ولكني لا اعرف كيف، وفي أية ظروف صادقته؟!

كيف تغاضيت عن صوته الغليظ المرتفع.. وضخامة حجمه غير المتناسبة

مع حجمي..
وكيف لم أر كمية البثور والحبوب في وجهه؟
تضايقت من أحاسيسي السلبية تجاهه.. وأيضا من صوت نحيبه..
أحسست برغبة في إنهاء المقابلة، وأبديت الضجر والعصبية، فاضطرت المرضة للرضوخ لرغبتي وإبعاده عن المكان..
مرت ساعات قبل أن أري واحدة من الممرضات تسألني:
إن كنت أتقبل الآن رؤية أحد...
مع محاولة إقناعي بأن هذه المقابلات مفيدة لمن هم في مثل حالتي، لتنشيط الذاكرة واستعادتها في أسرع وقت ممكن.
وبحركة بسيطة من رأسي فهمت الممرضة أني قبلت، وفي الحال سمحت لفتاة بالدخول..
طالعني وجه، أتذكر أنني عندما رأيته في الصور لم يرق لي.
كانت في الماضي حبيبتي..
لم يختلف حالها عن صديقي.. بكت كما لم أظنها فعلت من قبل.. لاحظت عليها بعض التغيرات عما رأيته في صورتها، التي كانت تحمل تاريخًا قريبًا مما يعني أنها صورة حديثة.
فهي الآن شاحبة اللون.. تحيط بعينيها هالات سوداء بكثافة عالية.. وقد قل وزنها كثيرًا عما كانت عليه سابقًا.
تزاحمت ارتعاشات اليدين، وازدادت حدتها بطريقه ملحوظة، عندما نظرَت في عيني مباشرة، وسألت عن حالتي بصوت خافت شديد الحزن..
بدت كلماتها وكأنها آخر ما ستنطق به.
دمعت عيني لأجل الموقف.. دمعَت لعدم قدرتي على التفاعل مع الموقف.

دمعت لأني أري إنسان يتمزق لوعة.. وحزنًا..
في حين أنني أجلس ساكنًا، أحاول أن أجد سببًا واحدًا لحبي لها في الماضي.. فهي بدينة بعض الشيء.. لون بشرتها لا أعتقد أنه كان المحبب لي في يوم من الأيام!
كانت تبدو طيبة القلب، ولكنها بطيئة الإيقاع.. لا أعتقد أني تفاعلت معها مسبقًا.
فصوتها منخفضًا لدرجة كبيرة.. وتبدو باردة، رغم كل الحزن والانفعال الذي يظهر على وجهها.
كيف أحببتها يوما ما برغم كل هذه العيوب؟
يبدو أن شعوري قد تسرب إليها..
أحست أن كل ما تفعله لا يترك عندي أي صدى..
لم تقدر دموعها على اختراق تلك الجدران السميكة، لهذه الكتلة النابضة بصدري.
تجمد المشهد لفترة..
فوجدتها تنسحب من الغرفة بهدوء، وهي غير مصدقة لما أنا عليه.
دارت بذهني أسئلة كثيرة، قبل أن أحسم قراري..
وبعد ساعات قليلة، دخلت ممرضة.. تستأذن لشخص آخر بالدخول.. ولكنها هذه المرة رأت الفراش خاليًا إلا من ورقة خطت بخط يدي..كانت الرسالة قصيرة، ولكن ما بها من كلمات تكفي لتوضيح موقفي:
«لم أعد قادرًا على رؤية المزيد من الدمع يراق.. من أجل عودة شخص، هو نفسه لا يريد العودة.......»

أشياء لا تحدث إلا لي..!

المعطف.. تتساقط منه قطرات الماء بطريقه جنونية.. إيقاع خطواتي على الإسفلت الأسود المبتل تتسارع..

يعجز المعطف ذو الملمس الجلدي واللون الأسود عن منع الماء من الوصول إلى جسدي..

صدري يعلن عن تمرده، واحتياجه الشديد إلى سحابات سجائري الداكنة..

أحاول في يأس تلبية النداء وإشعال ثقابي الذي عجز عن تحقيق المهمة..

وظهر ضعفه الشديد أمام هطول المطر وعناد الرياح.. وارتعاش اليدين.

ولكن أمام إرادتي وإصراري.. وأيضًا مع اختبائي خلف إحدى البنايات، نجحت في تحقيق الهدف وأشعلتــها..

واصلت فقرة إيقاع الأقدام التي كنت قد قطعتها أثناء محاولة الإشعال، ومضيت مستمتعا..

بالفعل، ما أجمل أن تفعل شيئًا أردته في الوقت الذي تقرره.

ليت الحياة كلها بمثل هذه السهولة!

مضيت أتأمل الطريق، فالشارع هو بيتي وملاذي الوحيد بعدما تركت البيت معترضًا على أشياء أتغاضى عن ذكرها ولو حتى بيني وبين نفسي..

نظرت عن يميني، فإذا بشخص في هذه الأجواء يجلس على الرصيف غير

مبال بما حوله.
داهمني الفضول، فذهبت أسأله عما يجلسه هكذا، فقال:
«ولما لا أجلس؟.. وما الذي يمنعني من فعل أي شيء؟»
قلت..
«ألا تخاف على نفسك في مثل هذه الأجواء؟»
قال: أخاف على نفسي.. ليتني أستطيع!
قلت: وهل يوجد من لا يستطيع الخوف على نفسه؟!
قال: لا أبالي بشيء، فأنا غيركم وأنتم غيري..
ثم أردف بيأس: اقتلني، وسوف أكون شاكرًا لك هذا الصنيع..!
قلت: وهل تعتقد أن الموت هو الحل؟
قال: الموت.....!
يا له من اكتشاف مريح.. إنه نهاية كل المتاعب.. والعناء..!
قلت: لماذا لا تنتحر إذن؟
قال متهكمًا: ليس معي ثمن خنجر لكي أطعن به نفسي، ولا أعرف طريقه أخري للانتحار.. فأنا كما تري لم أنتحر من قبل!
قلت وأنا أخرج بعض النقود من جيب معطفي المبتل:
«خذ هذه النقود، لعلها تساعدك..»
تناول النقود بسرعة.. وقال فرحًا:
«أشكرك.. كم أنا سعيد الآن!»
«هل ستنتحر بالفعل؟»
فقال: لا.. سأشتري بعض الخبز والنبيذ، وأضاجع امرأة رخيصة الثمن.. فالحياة مازالت بها أشياء تستحق العيش من أجلها.

ونظر لي نظرة لم أفهم معناها وتركـني.. وذهب!
نظرت إليه وهو يبتعد وقلت.. ليتني أستطيع اكتشاف شيء من الأشياء التي تستحق العيش من أجلها..!
واصلت سيري وأنا أعتصر فكري لإيجاد شيء يصلح للعيش لأجله.
فأدركت أنني لن أصل إلي ما وصل إليه، وعرفت مدى النعمة التي هو فيها الآن.. فذهبت...
وابتعت خنجرًا..!

الساعة الرملية

- اللعنة!.. لا أعرف ما الذي جاء بنا إلي هنا..؟!

«هل هي النهاية أخيرًا.. لم أكن أتخيلها هكذا..!»

- «ألا تريان إنه من الممتع أن نكون معًا وفي مثل هذه الظروف.. ثم ماذا سيكون شعور المرء إذا تعرض لهذا وحده..؟!»

«هل هو اختبار نفسي؟!.. يبدو أنك تمزح!»

- نفس شعوري الآن!.. ماذا سيتغير فيه، ثم ما المتعة في هذا.. إنه بالفعل نموذج للموقف الذي لا يحسد عليه أحد.

«ولكننا فيه الآن بالفعل.. ففكروا كيف ننقذ أنفسنا، ونخرج من هذا الكابوس..!»

- لا سبيل للخروج، سننتهي هنا.. هل تجد هذا ممتعًا أيضًا أيها المدافع عن متع ومباهج الحياة..؟!

- «سنموت سويًا على الأقل.. أ ليس لهذا أية قيمة عندك؟!.. ألم تقل لي مرارًا (أخاف أن أموت وحيدًا) ألا تذكر؟.. ها أنت ستموت معنا، فلما الحزن إذن..؟!»

«بالنسبة لي لا يوجد فرق.. متنا سويًا أو لم يمت سواي.. فالموت موت في النهاية!»

- «نعم.. (الموت موت) كما أن (الأهلي أهلي).. أصبحت تتحدث مثلهم!»

- تصارع الموت ولا تزال تطلق النكات!.. أما أنا فلا أريد أن أموت.. مت أنت!

- «لأول مره تسعي لتركي وحيدًا.. قضينا العمر سويًا، والآن لا تريد أن تنهيه معي.. خسارة !!»

«بالتأكيد أنت تهذي.. تريدنا أن نستمتع بالحدث؟!.. ألا تشعر أين نحن؟!.. ثلاثتنا في بحر من الرمال، لا نجد أية طريقة للنجاة.. وكل ثانيه نغوص أكثر في هذه الرمال اللعينة.. ولم يبق سوى القليل ونختفي نهائيًا.. أرجو أن أكون قد استطعت شرح الموقف لك.. هل مازلت مقتنعًا أن هذا ممتع..؟!»

- «ألا يكفي أن آخر وجوه سأراها هي وجوهكم؟.. لقد كانت أمنيتي طوال حياتي أن أموت وأنا أنظر إلى أعين من أحب.. وأنتم كل من أحببت.. ألا يكفيكم هذا!»

«يكفينا إحساسك.. ولكن لا تطلب منا الاستمتاع من فضلك!»

- لقد اختفي جزءًا كبيرًا من أجسامنا تحت الرمال!!.. ما العمل؟!»

- «هل تتذكروا رحلة الصيف الماضي..؟!»

« ما الذي يذكرك بها الآن.. لقد كانت أسوأ رحلة على الإطلاق!»

- «حتى وأنت في مثل هذا الموقف مازلت تتحدث عن السوء؟!»

«نعم أذكرها، ومازال رأيي كما هو.. لم تكن سيئة إلى هذا الحد كما زعمتم..»

- «كانت مجرد رحله صيفية.. وأشعرتموني وكأنكم كنتم تتعذبون.. والآن تعترضان على الوضع بنفس اللهجة.. وكأن كلا الموقفين يتساويان

لديكما!.. نعم، أنا أيضًا يتساوى عندي الموقفان تمامًا.. فيكفيني أننا كنا معا والآن نحن معًا!»

«لن تقنعنا بمبدئك.. فما نحن فيه لا يسمح لعقولنا إلا أن تفكر في وسيله للإنقاذ!»

- «عصبيتكم عجلت بالنهاية.. لقد لامست ذقنيكما الرمال!.. يبدوا أنكما ستموتان قبلي.. ولن يتحقق حلمي بالموت معًا..»

«إنك مريض.. ولكني أحبك..!»

- مجنون بحبنا.. وأحبك من أجل ذلك..

لقد كانت تلك آخر كلمات أستقبلها منهما!!

يا للخسارة..

ما كنت أتصور هذه النهاية..

ما كنت أتمني أن أري نهاية الذين أحببتهم أمام عيني.. بل كنت أطمع في نهاية موحدة، حتى لا يعاني شخص بفقدان الآخر.

لقد مت وحيدًا..

الكابوس الذي كان يطارد أعز أصدقائي

طاردني الآن.....!!

بل وتمكن مني أيضًا.. بقي أن أنتظر دوري أتساءل كم سيمضي علي من الوقت.. لكي أصير إلى ما صاروا إليه.. تمضي الثواني بطيئة دونهم.. يا له من عقاب أن تلقي حتفك في ساعة رملية تتميز بالبطء الشديد..ليس على سوي أن أنتظر.. وأخذت أنظر إلى أماكنهم التي أصبحت خالية بعد إعلان انسحابهم من الوجود..

وسقطت دمعة من عيني رغمًا عني..

وطفقت أنتظر................

بائع الماضي

مصري.. ولا أجد ما أفتخر به في ذلك، لأن لا يد لي فيه.. فأنا ولدت هكذا، وسأموت بنفس الداء..

اعتدت كل يوم أن أهبط عددًا لا بأس به من الدرج وأتجه إلى بائع أقراص نباتية، تقلى في سائل يتميز باصفرار لونه.. وبرائحته العطنة.. ولن أتحدث عن شكل الوعاء المستخدم في الطهي ولا أخفي المعلومة خشية من البائع ولا خجلا.. ولكن أتغاضى عنها لمجرد الحفاظ على شهيتي أو ما تبقي منها لكي ألوك ما ابتعته..

أصعد نفس العدد الذي لا بأس به من الدرج وأعود إلي غرفتي التي يكشف سقفها بوضوح عن حالة السماء وما تبدو عليه كل لحظه من لحظات اليوم..

يسمح لي المقعد بالجلوس..

وهذا كل ما أعرفه أو أذكره عن حياتي..

إنسان..

عرفت ذلك لأنني لا أشبه الكثيرين ممن حولي.. لا آذي، ولا أكذب..

ولا أسمع ولا أتكلم..

بالفعل، فأنا أمتلك أربع حواس فقط.
مصري.. وهذه المعلومة حصلت عليها من نوع من أنواع الورق المقوى مرسوم صورتي عليه، واسم لا أعتقد أنني صاحبه، لأنه لا يتماشي مع صورتي.
عرفت شكل علم بلدي من أحد ورقات الصحف التي تحوي الأقراص النباتية التي أبتاعها يوميًا.. فما يصرف لي من معاش شهري لا يجعلني أبتاع جريدة كل يوم أو حتى كل أسبوع.. فاكتفيت بما يبث لي من أخبار، من خلال لفافة الأقراص النباتية.. أحتفظ بها رغم البقع الزيتية.. أقرأ ما بها بعناية وتركيز فإنها نافذتي الوحيدة على العالم.
أتأمل.. أشرد..
ثم أعود لأكمل القراءة.
أصبحت كل ذكرياتي هي قصاصات الصحف هذي..
تابعت معها أحداثًا كثيرة، حروب..
انقسامات..
أحزاب.. أبطال..
أسماء أظنها قد مرت بي يومًا..
كلما قرأت، كلما التأمت ثقوب ذاكرتي.. وأتذكر شيئًا عن الماضي.. أصبحت أقرأ كثيرًا وأستعيد ذاكرة الماضي بشكل كبير وأحتفظ بلفافات أكثر حتى أصبحت رائحة الزيت تغزو المكان رغم تميزه بالتهوية الجيدة...
ورائحة الماضي تفوح من عقلي، رغم تميزه بالنسيان، وفقدان ما حدث..
تذكرت أحداثًا.. ومواقف..
تذكرت كيف فقدت ذاكرتي.
وكان آخر ما تذكرته...............................!!

***

بعد انتحار الساكن في حجرة السطح، أصبحت الغرفة مزارًا لأطفال الحي.. رغم أن الغرفة لا يوجد بها قد ما يسليهم.. قالوا إنهم لم يجدوا بها سوي الكثير من ورق الجرائد الذي يتميز ببقع زيتية.. ذلك النوع من الورق الذي يستعمله بائع (الفول والفلافل) ولا يوجد غير ورقة وحيدة كتب عليها..

«عندما تذكرت كل شيء، لم أشأ تكملة الحياة..»

ترتيبات أخيرة

رائحة الأدوية تزكم الأنوف..

أينما نظرت تقع عيني على رداء أبيض، ذلك النوع الذي يتميز به من يطلَق عليهم ملائكة الرحمة.. إنه اليوم الأول بعد الألف لي في هذا المكان..

لا أبالغ.. ولكنني بالفعل لا أتذكر كم مضى علي هنا..

ولكن كل الذي أذكره، مدي الضيق الذي أشعر به كلما وطأت قدمي ذلك المكان.

إني أعترف بكرهي لهذا المكان الموحش، على الرغم من أناقته..

وأعترف بأني أريد أن أقطع علاقتي به.. ونهائيا.

على الرغم من أهميته.

وكما جرت العادة، سألت عن أحوال أبي، وهل بدأ يستجيب للعلاج الذي مازلت أعاني من تكاليفه وتمزقني ديونه.. فقالوا إن حالته تندرج تحت بند الحالات السيئة..

وأنه - رغم كل المحاولات - حالته غير قابلة للتحسن.

عرض علي الطبيب ورقة تحتوي على المزيد من الأدوية قائلا:

«سنجرب هذه خلال الأيام القادمة..»

تناولت الورقة وأنا غير مصدق لكل هذه الأحداث التي مررت بها...

نظرت لأبي نظرة من خلال الحائط الزجاجي.. وجدته نائمًا بلا حراك فدعوت الله في أعماقي أن يخفف آلامه ويشفيه، لتعود لنا تلك الدعوة الصافية الخالصة..

ذلك النبع الدافئ..

تلك الكتلة من الإحساس والطيبة..

تلك الكتلة هي أبي.

أثناء عودتي أخذ عقلي يسترجع كيف كان أبي يتفانى في حبنا، وتذكرت مواقف كثيرة صعبة للغاية.. ومؤثرة بالفعل في حياتنا وكيف كان يتصدى لكل العوائق والأزمات من أجلنا.. وكيف كان العون والسند..

وتذكرت أيضا بعض الأمور العادية، التي يفترض من أي رب أسرة أن يقوم بها.

ولكنها كانت تحفر حروف اسمه بذاكرتي..

كأطيب أب في الكون .

كيف كان يرد غطائي علي، وكيف كان يسهر ليلة الامتحان وهو الذي كان يكره السهر.. ولكن من أجل أن يساعدني في حفظ نشيد الوطن.

أشياء بسيطة.. وأخرى صعبة.. ولكن كل المواقف تركت أحاسيس عميقة لن تمحوها خطوات الزمن.

تعلمت منه الصبر.. تعلمت منه الصدق.. تعلمت منه الحب..

احتوتني جدران بيتي بعد هذا الكم من الأفكار.. لا أعرف كيف وصلت إلى البيت وأي الطرق سلكتها للوصول.. المهم أنني وصلت.

لم يكن بالي رائقًا لأي شيء..
ولكن رغمًا عني رفعت سماعة الهاتف لأسمع صوتا أميزه جيدًا.. يطالبني بدين علي.. فحاولت شرح ظروفي، ولكنه قاطعني بحدة قائلا:
«أن هذه الظروف منذ زمن لم تتغير»
وعدته وعدًا لا أظن أني سأفي به.. وأنهيت الاتصال.
وأثناء انتشار تلك الكتل اللامعة في سماء الكون.. أخذ عقلي ينشر أفكار كئيبة سوداء.
ومع خطوط الضوء الأولى، ارتديت نفس الملابس التي كنت أرتديها بالأمس، وذهبت إلى الطبيب المعالج...
لم يستغرق حديثي معه سوي بضع دقائق.. واتفقنا خلالها على كل شيء....
كل شيء بالفعل.
بعدها ذهبت إلى حجرة أبي، ونظرت للكم الهائل من المحاليل والخراطيم والأدوية.
ووجدته رغم كل هذه الأشياء يرقد غير قادر على الحركة.. بل إنه حتى غير قادر على تبادل الأنفاس بصورة عادية.
وفي صباح اليوم التالي استقبلت مكالمة هاتفية كنت انتظرها..
تفيد بأن:
عملية الموت الرحيم قد تمت بنجاح.. وبأن الأمر لم يستغرق إلا بضع ثوان..وبأن الإدارة تنتظرني لاستلام الجثة...
وبأن..... البقاء لله

جرح سطحي..!

وجودهما في حياتي لم يكن بمحض إرادتي.. بل إنني مازلت أؤكد أن وجودهما لم يكن حدثًا عظيمًا بحياتي.. بل لم يكن حدثًا من الأساس.

صحيح أنهما سببًا حيويًا ومباشرًا لوجودي، نتيجة لهذه اللقاءات التي تجمعهم، ويزعمون أنها لقاءات ممتعة..

لكنني أري أنه من المفترض أن المتعة لا تجلب المتاعب، ولكن هؤلاء لا يتقنوا في الحياة سوي صنع المتاعب..

إنهم قليلو الخبرة.. قليلو الفهم.. قليلو النفع..

ولكنهم كثيرو المتاعب..!

لا أكرههم..

ولكني أتجنب نصائحهم وأحرص بشدة على البعد عنها.. ولكن برغم حرصي الشديد وحذري المبالغ فيه، تعرضت لضغوط مختلفة وقوية..

و بعد إلحاح دام لشهور، وحملة إقناع مكثفة ممن حولي.. رضخت للفكرة، وأطعتهما..

في البدء لم يكن الأمر بهذا السوء، ولكن بعد فترة.. تأكدت أنني عندما وافقت على السماح للعطر الأنثوي باختراق مجالي الذكوري.. وتعديه

على الحصون المنيعة لخصوصياتي كرجل، لم أكن موفقًا على الإطلاق..!
مجموعة كبيرة من الأخطاء.. ثرثرة....
إهدار وقت...
إهدار مال...
طريق طويل من المشكلات و العقبات والموانع.
زيارات كثيرة لأناس من المفروض استقبالهم كأعضاء جدد في العائلة، وأشخاص من المفروض أن أقبلهم في قائمة أصدقائي.
كانت دائمًا تقص على مسامعي سيرتها مع صديقاتها..
يتخلل هذه الحكايات ذكر العيوب التي تراها من وجهة نظرها فيهن..
وفي إحدى الأيام العادية وبسبب زيارة مفاجئة، أضيف لعناصر حياتنا الرتيبة المملة عنصرًا جديدًا، كلما كانت زوجتي تذكره يقترن اسمه بالطيور التي تعبّر عن نذير الشؤم.. ولشدة دهشتي أن المقصودة هي أعز صديقاتها.
أنا لا أعترف بهذه الأشياء..
ولكن رغمًا عني وجدت سراديب وطرقات وأزقة عقلي المظلمة، تومض بهذه الفكرة..
فوجدتني عند رؤية صديقتها، أعامل زوجتي برقة ولطف غير عاديين.
ومع الوقت، احتوت جدران البيت ثلاث نظرات مختلفة..
بعد هذه المعاملة الحانية الملائكية..
نظرة دهشة.. تخص زوجتي..
نظرة إعجاب.. تخص صديقتها..
نظرة مكر ودهاء.. تخصني!

بعد الكثير من الأحاديث.. والنظرات، قررت الصديقة الرحيل، وصورة الحياة المثالية تسيطر على عقلها..

خرجت معهن بناءًا على طلب زوجتي.. ونحن في طريقنا أخذت الصديقة تبالغ في مدحنا..

ووصف حياتنا - على حد قولها - بالجنة.

أثناء العودة أنا وزوجتي بعد توصيل صديقتها، لم يتحدث أحد.

ولكنني لاحظت أن نظرات الدهشة لم تفارق وجه زوجتي..

وفجأة.. دوي في الأفق صوت انفجار إطار سيارة.. ويبدو أن السائق فقد السيطرة عليها تماما فانحرفت منه بعنف..

وأخذت تتأرجح بسرعة مخيفة..

وفي النهاية استقرت على أحد الأرصفة.. وإطاراتها لأعلى، وقد أحيلت إلى قطعة خردة، مخلفة ورائها حادثًا مؤلمـًا..

ومر وقت لا أعرف مقداره..

قبل أن تدخل الممرضة الحجرة الخاصة بي، في إحدى المستشفيات العامة..

اطمأنت على الكسر الذي لحق بساقي، وتأكدت أن الجبيرة المحيطة بقدمي قد تصلبت تمامًا..

وكانت ممسكة ببعض الأشياء التي تبينتها قبل حديثها.. أعطتني الأشياء قائلة:

«هذه الأشياء تخص زوجتك.. رحمها الله»

نظرت إليها ووجهي لا يحمل أية تعبيرات، ثم مددت يدي وأخذت الهاتف المحمول الخاص بزوجتي..

وبحثت عن اسم معين بمجرد دخول صاحبته إلى بيتي، تغيرت حياتي

وتبدلت بالكامل..

اسم صديقة زوجتي..!

وبمجرد إيجادي للاسم، شرعت في كتابة رسالة لصاحبته.. رسالة تحمل الكثير رغم بساطتها.. رسالة مكونة من كلمة واحدة:

«شكرًا!!»

حدوتة

تسألني: أحببتها؟

فأقول: ما كنت أقدر على غير ذلك.. كانت تسكنني وكنت أسكنها.

ما مر يوم إلا وكنت معها وكانت دائمًا معي..

مازلت أذكر يوم عرفتها..

كان السبب تأخري عن موعد المدرسة

دخلت الفصل، فعنّفني مدرس الرياضيات.. وعاقبني بالجلوس في صف الفتيات.

وقبل أن أتذمر وأحتج، وقع بصري على صفهن وإذا بالمكان الشاغر الوحيد.. جوارها!

أسرعت مطيعًا لأوامر مدرسي، وأنا أحاول تمثيل دور الغاضب من القرار..

حتى لا يرجع عنه، وجلست جوارها..

كانت أجملهن على الإطلاق.. أو هكذا أراها..

كانت أرقهن.. أو هكذا أعتقد.

عرفتني وعرفتها.. ومنذ ذلك الحين اقتربنا أكثر..

أحببنا أكثر..

وتمسكنا أكثر..
طالت أعواد أجسامنا.. كبرت ملامح وجوهنا.. كثرت ذكرياتنا سويًا..
تجاوزنا مراحل عمرية كثيرة.. ويسعدني أننا مازلنا معًا.
فيضان مشاعري لا يتوقف.. أحاسيسي أقوي وأعظم من أن يتحملها جسدي.. اعتدنا أن يظلنا ظل شجرة عتيقة في نهاية الحي الذي نسكنه..
أنتظرها الآن تحتها.
قلبي يدق مع مرور كل ثانية.. متى تأتي؟!
انتظرت كثيرًا.. تصاعد قلقي وزادت حدته..
أفقدني الانتظار صوابي، أسرعت إلي بيتها أترقب من بعيد علها إذا لمحتني تتذكر موعدنا..
وجدت البيت صامتًا بلا حراك.. تشجعت، أو لنقل جننت على الأرجح، ودنوت أكثر وأكثر.. أصبحت أمامه الآن.. ووقفت أنظر للبيت الصامت كالقبور.
«هل تنتظر شيئًا؟»
قالها جار لهم في البيت المقابل، فخفق قلبي بعنف من وقع المفاجأة..
استدرت بحدة لأجد نفسي أقول..
«أين هي؟!»
فقال..
«من ؟!»
قلت..
«أقصد أصحاب البيت..»
قال..

«لقد حزموا مع الصباح أمتعتهم ورحلوا، وملكوا البيت لمالك جديد..»
قلت..
«ألا تعرف أين ذهبوا؟»
قال..
«لا أعرف.. هل من خدمة أسديها إليك؟»
وجدتني أستدير راحلًا، شارد الذهن دون أن أرد عليه، أو أوجه إليه كلمة شكر على الأقل.. وتركته وذهبت.
أحسست بقلبي ينشطر..
شلال من الدموع الدافئة ينهمر.. كلي يذوب..
ما كنت أتخيل ذلك السجن الذي أحيا بين جدرانه الآن..
لا أصدق..
عدت لحياتي دونها..
ما عدت أتمنى سوى أمنيتين، الموت أو رؤيتها مره أخرى..
أصبحت دائم السير شاردًا وحيدًا أقطع مسافات على أقدامي يوميا بحثا عنها.
في الميادين.. في الشوارع.. شرفات المساكن.
وتنتهي رحلتي يوميًا عند شجرتنا العتيقة.. لعلها تذهب دون اتفاق على أمل رؤيتي.
تمر السنين ولا تقوى على تغيير ما بداخلي.. يمر العمر وطيفها لا يفارق عيني.. كلما قسي الزمن كلما اتقد الأمل في قلبي.. أمر الآن تحت شرفات لا أعرفها في شارع لا أتذكر اسمه.
يوم من أيامي الشاردة.. الضائعة..

الحزينة.
يتناهى لمسامعي صوت، يأتي من إحدى الشوارع الجانبية.. قادني سمعي بتعاون من أقدامي للوصول إلي مصدر الصوت.. ليلة عرس.. بهجة و فرحة.
وقعت عيني على العروسين.. فرأيتها..
نعم، هي.. يبدو أن ضعفها كأنثى حال دون إقناعهم برفضها لفكرة الزواج..
أنا متأكد من ذلك وأكاد أن..
لقد رأتني...!
لقد لمحتني بين جموع الحاضرين، وتركت مكانها وأسرعت نحوى..
اختبأت منها وسط الجمع.. ما كنت أريد أن أسبب لها المتاعب..
دارت عيناها في كل مكان بحثًا عني تجذبها أيادي كثيرة لتعود.. تزداد حدة عصبيتها وتهتف باسمي..
أنا متأكد أنها تهتف به لم يسمعها سواي.. تركض مبتعدة وتبكي وتردد اسمي بصوت عال.. وتعبر الشارع الرئيس مسرعة..
ثم..........
كل شيء حدث في دقائق..
وجدت حبيبتي.. ثم فقدتها إلي الأبد....
لم يتغير لون ثوبها.. بل مازال الأبيض يطغى على جميع ملابسها، في حين عصف الأسود بالألوان المحيطة بالموقف.. الكل يشارك لإكمال عناصر اللوحة الكئيبة..
إما بدموعه.. وإما بصراخه..

أما أنا فأشارك بصمتي.. وقلبي يتمزق.

تابعت الموقف حتى إسدال التراب على المشهد الأخير..

الناس ترحل.

لم يعد هناك غيري.. كل ما أفعله أن أنظر إلى القبر وأبكي.. ساعات وساعات من البكاء..

سمعتها تحدثني..

ووجدتني أحدثها..

الشمس قاربت على إعلان وجودها ومازلنا نتبادل الأحاديث أخبرتها كيف عشت دونها.. وأخبرتني كيف كانت الحياة بدوني.. استرحت لنهايتي.. تلك النهاية العظيمة التي أتاحت لي أن أرقد في أمان بجانب من أحب ولو بروحي.. ليسجل التاريخ اسم أول حبيب.. يدفن بجانب حبيبته.

خمسون اسمًا للفقر

«رغيف خبز.. وقطعة جبن»

«إن ما معك لا يكفي سوي للخبز فقط...»

فنظرت إليه وعيوني تناشده أن يتراجع عن قسوته ويعطيني قطعة جبن.. ولو حتى من باب الشفقة.

ولكن يبدو أن الشفقة عادة ما تضل طريقها لقلوب البائعين.. فانتهي المشهد بي وأنا على رصيف ما..

في شارع لا أذكر اسمه..

وبيدي رغيف خبز واحد

ذلك المشهد الذي طالما تكرر بين حين وأخر..

أريد يومًا أن أتذوق طعم شيء غير الخبز..

ولكن الأهم الآن أن أرضي طموح ذلك الوحش القابع بأحشائي منذ زمن بعيد.

ذلك الوحش الذي لا يرضي غروره هذه الكمية الهزيلة من الطعام.

ألقي بما في يدي داخل جوفي، فأكاد أن أسمع رنين ارتطامه بقاع معدتي.. فأنا لم آكل شيئًا منذ بداية هذا الشهر الذي نحن في الثالث منه الآن.

أجلس على رصيفي المعتاد في الشارع الجانبي المظلم.. أتناول من جيبي الشيء الوحيد فيه.. قلمًا.

نعم.. ذلك الشيء الذي يستعمله الأغنياء في التوقيع على الشيكات..

لم أكن غنيًا يومًا ولم يكن معي ما يسمح لي بشراء قلم.. ولكني وجدته على رصيف ذات يوم من أيام التسكع.. ومنذ ذلك الحين احتفظ به.

وفكرت كثيرًا أن استخدمه ولكن حار عقلي في إيجاد استخدام له.. وبعد تفكير طالت مدته قادني إلى كتابة مذكراتي، وقررت أن أدون الجانب المشرق فقط من اليوم.

لن اكتب كل شيء فلا داعي لذكر أين أنام.. وكم ساعة أقضيها في السير عبر شوارع كثيرة دون هدف.. وكم صندوق قمامة أقوم بعده حتى أصل إلى مكان نومي.

ولا كم من العمر قد مضى وأنا دون عمل.. بالفعل، لا داعي لذكر تلك الأشياء..

بل الأولى ذكر الجانب المشرق في يومي.

تلك اللحظة ألتي أعلن فيها لأحشائي عن تلبية ندائها..

وألقي فيها ما ابتعته أو ما يقع في يدي بطريقة أو بأخرى.

أمسكت بالقلم..

ودونت على سروالي الأزرق الباهت كما جرت العادة..

تاريخ اليوم و...

عدد رغيف عيـش واحد...!

دون اتفاق

ثلاثة ظلال على شريط أسود ممتد...

خطواتهم متثاقلة.. تعتلي وجوههم بعض التعبيرات..

وجوم.. حزن.. يأس..

وهذا ليس كل شيء...

ولكنه الأوضح للمارة في نفس الشارع.

تختلف نغمة إيقاع أقدامهم.. وتختلف نسب شرودهم.. وأيضًا تختلف مشكلاتهم.

ولكن الشيء الوحيد المتفق عليه بينهم - دون اتفاق فعلي مسبق - هو وجود مشكلة، هي أم المشاكل بالنسبة لكل شخص فيهم.

تخطـوّا مرحلة الكلام معًا.

وتركوا الحزن يخيم على المشهد، وأعطوا اليأس الفرصة كي يضع لمساته بدقة على اللوحة.

حتى تحقق أعلى المراكز كأحزن لوحة في العالم.

ووسط الشرود والأحزان.. لمعت عيونهم في نـفس اللحظة..

تتجه أنظارهم إلي نـقطة واحدة، قد تكون هي الاتفاق الثاني بينهم.

تلك النقطة هي عملة ورقية..
نعم.. هذا الشيء الذي يستعمل في تحقيق الأحلام.
وكانوا على موعد مع الاتـفاق الثالث..
«العملة تكفيني لحل مشكلتي»

قالها الأول متوسلاً..
«أمي مريضة وتحتاج إلى دواء باهظ الثمن لندرته، اقسم أنني تركتها في البيت تصرخ من شدة الألم.. أحلم أن أعود لها حاملًا الدواء.. أقسم على صدق ما أقول..»
«أعرف ذلك.»
قاطعة الثاني بنبرة حادة، ثم أردف..
«ولكنك لست أسوأ مني حالاً.. فلقد اقترفت خطأ جسيمًا.. اختلست مالاً من مكان عملي منذ فترة على أمل رده.. وإذا لم استطع سيتغير محل إقامتي من بيتي إلي مكان أعتقد أنه لن يروق لأحد..»
«أعرف ذلك.»
قاطعه الأخير بيأس إذ قال..
«هذا المبلغ كان ينقصني لأرمم البيت الذي يكاد أن يسقط على رأس أبي وأختي الصغيرة.. إنني الأحق به منكم وأتمنى أن أنقذ الذين تبقوا لي بهذه الحياة..»
تجمد المشهد للحظات، بعد هذا العرض القاسي لكم المشاكل هذه..
كل ينتظر قرار الآخر.. ويأمل أن يكون لصالحه..
« سمعتكم.. وأعتقد أنني نجحت..!»

نظر ثلاثتهم إلى شخص فرض نفسه على المشهد ليكون العنصر الرابع في اللوحة، وبدون اتفاق مسبق أيضًا.. نطقت ألسنـتهم جملة واحدة في وقت واحد..

«فيم نجاحك..؟!»

فقال..

«كنت ألهو قليلًا.. فصنعت هذه العملة، وألقيتها بعرض الشارع لأراقب من بعيد هل ستخدع أحدًا بالفعل؟!.. ولكنني اكتشفت مدي الخطأ الذي ارتكبته، عندما اخترتكم.. فأنتم أتعس من رأيت.. أتمني لو كنت قادرًا على مساعدتكم..»

ثم اعتذر، ومزق الورقة الزائفة.. وتركهم وذهب.. فنظروا إلي الورقة الممزقة بحسرة.. ودون اتفاق، التقط كل واحد فيهم جزء منها ليحتفظ به..

وواصلت الظلال الثلاثة خطواتها المتثاقلة.. على الشريط الأسود الممتد.......

كل الشواهد تؤكد أنه السبب.. ومن يكون غيره؟!
كل الذين عرفوه وحاولوا استخدامه كعنصر مكمّل للوحتهم لم تكن نهايتهم سعيدة.. هناك أيضًا من استخدموه على أمل إثبات العكس.. ولكنهم فشلوا.. وخسروا كل شيء في النهاية...!

ذات يوم أمطرت هنا..!

خطوت خطوات مسرعة عابرًا الشارع الرئيس، متجهًا نحو مكان أحبه كثيرًا..
لم يكن يشغل بالي سوى موعدي معها.
كانت الشمس تعلن سيطرتها واحتوائها الكامل للمكان، وشعاعها الذهبي يغطي كل شيء..
لم يعكر صفو اليوم سوي عدم ملاحظتي لبؤرة طينية تتوسط الطريق، وكأن الذي وضعها يقصد حذائي الأسود اللامع بالذات..!
ورغمًا عني لم توقفني تلك القطرات الطينية السخيفة حتى لا أتأخر.
لم يكن المكان خاليًا من البشر، ولكن عيني سرعان ما رصدت الهدف بسهولة.. ولا نغفل مجهود قلبي ومساعدته لكي نصل للهدف ذاته.
لشدة دهشتي رأيتها جالسة على مقعدنا الذي اعتدنا الجلوس عليه.. ذلك المقعد الذي شهد اللحظات الأولى في علاقتنا، فتوقعت أن يتواجد

سبب أخر لتعكير الصفو، فلم أكن أريد أن تسبقني للموعد..

***

أحيانا نربط بين الأحداث وبعضها.. فهناك أناس يعودون إلى منازلهم لمجرد رؤية قط أسود، أو لسماع نعيق غراب.. لا نتحدث عن نظرية التفاؤل والتشاؤم.. ولكني أؤكد أنه لا يجب أن نتعامل مع تلك الحالة بهذه النظرية، لأن الوضع مختلف.

ويجب أن تكون مقتنعًا تمام الاقتناع إن التعامل مع هذا الشيء في وجود من تحب يفسد كل شيء.

مازلت أقول إنه السبب؟

***

لم يكن الحوار بيننا في بداية اللقاء حوار حب متبادل.. فلم يكن من الطبيعي أن أنتظر كل هذه المدة، وأنا التي أكره الانتظار، ومطلوب مني أيضًا أن أتحمل هذا الكم من المضايقات..

فبالفعل لم يمر شخص أمامي، إلا ويُسمعني تعليق أقل ما يوصف به أنه قمة السخف.

تبادلنا الاتهامات بصوت مسموع.. تزداد حدته شيئًا فشيئًا حتى وصلنا إلى مستوى غير حضاري في المناقشة..

لم أكن اعرف إلي أين يسير الحديث أو متى سينتهي.

كل الذي أعرفه إنني لم أصل إلي هذا الكم من العصبية في يوم غير هذا.

وكنت أحلم بأن تنتهي تلك اللحظة، ونعود ثانية إلى المشاعر والأحاسيس التي تعودت عليها منه على مدي الأيام المنقضية.

وخصوصًا أن اليوم هو عيد الحب الخاص بنا.. في مثل هذا اليوم قبل سنة

تقابلنا على هذا المقعد.
ومنذ ذلك الحين ونحن معًا...
أشعر أن المقعد قد حفظ نبرات صوتنا.. أصبح يحب جلوسنا عليه.. وأصبحنا نحن أيضًا نحبه كثيرًا.. علاوة على ذلك حفر أسمائنا عليه وكأنه أصبح ملكية خاصة..

***

لا اعرف لماذا لا يتم تحذير الجميع قبل حدوث أي شيء؟
لماذا ننتظر حتى وقوع الحادث؟!
ولماذا أنتظر مختبئًا حتى أرى ما سيحدث؟
تري لأتأكد من أمر اللعنة؟
البداية دائمًا تكون عند كتابة حروف أسمائهم الأولى على المقعد.. وكأنهم أعطوا الإذن للعنة المقعد في البدء.
ذلك الإذن الذي سيكون السبب الرئيس في عنائهم، والنهاية أيضًا تكون بإعلان رحيل العام الأول.. ثم ينتهي كل شيء.
وهذا أيضًا نفس ما حدث لي.

***

تأفف الكل حولهما، بينما تزداد حدة عصبيتهما.. تأزم الموقف وبدا وكأنه لن ينتهي.. فما كان من الجميع إلا أن قاموا بإخلاء المكان والانصراف.. لتحمل اللوحة ثلاثة عناصر فقط..
هما الاثنين.. والمقعد.
وظل الشجار يتصاعد...

***

دائما أثناء عرض المشهد الختامي، لا تبخل الطبيعة بلمسة جمالية ودائما ما تكون أمطارًا شديدة.

ومع هطول الأمطار.. تنخفض درجة حرارة الموقف تبعًا لدرجة حرارة المكان.

يدير ظهره لها.. تدير ظهرها له.. تنقسم اللوحة إلي نصفين..

كل يبحث عن نهاية بعيدة عن الآخر..

ليكون الفراق الأخير..

ويبقى المقعد ساكنًا كالقبر.. ومع هطول القطرات الأخيرة للمطر نجد المقعد وكأنه جديد ناصع البياض.. خال من أية حروف أو أسماء.. وكأنه يعلن عن استعداده لاستقبال ضحايا جدد..

ليزيد عدد جرحى القلوب....

رسالة من خلف الجدران

أصوات الطيور تبعث السعادة بقلبي..

مياه زرقاء..

أمواج هادئة..

سماء صافية.. باستثناء سحابة بيضاء بلون الثلج، تعلن عصيانها وترفض الانسحاب.

أجلس وحيدًا، مستمتعًا بهذا العرض الرائع الذي تقدمه الحياة أمام عيني.. ولا أحاول ترك عقلي والاستسلام لشروده.. حتى لا أفسد متعتي بأفكاره الكئيبة التي طالما أشقاني بها، بتفكيره في الوحدة وسجن الطبيعة ألذي يأسرني بين قضبانه المفتوحة.

فمنذ فتره ليست بالقليلة، لم أر أحد ولم أتحدث سوى مع نفسي التي تحملتني كثيرا هذه الفترة..

نعود إلي استمتاعي بسجن الطبيعة..

تعبث يدي بحركة شاردة بحبات الرمال.. فتلمس شيئًا لم أتبينه.. أنظر إلي يدي، فإذا به علبة ثقاب.. تساءلت ماذا جاء بها إلى هذا المكان؟

وهل يوجد من يأتي إلى هنا؟

ترى من يكون؟
ولماذا لم أره حتى الآن؟
داعبت تفكيري فكرة لعبة بسيطة على سبيل التسلية والتواصل أيضا.. أخذت علبة الثقاب وتركت قداحتي، مكانها وتمنيت أن يتوصل ذلك المجهول لفكرة التواصل ألتي أردتها.
ومع إعلان الشمس الانسحاب، أعلنت تضامني معها وانسحبت أنا أيضا من المكان..
عدت في اليوم التالي ولهفتي تبلغ ذروتها، ولسعادتي وجدته قد وصل إلي المعنى.. نعم، لقد ترك علبة ثقاب أخرى وأخذ قداحتي وبفرحة ولهفة اختطفت علبة الثقاب.. كطفل وجد لعبة ملقاة على الأرض بلا صاحب.. ووضعت العلبة التي كنت قد أخذتها ليلة أمس.. وهكذا ظل الوضع لعدة أيام وقد ازدادت متعتي يومًا بعد يوم، وفرحتي بهذا التواصل.. لدرجة أنني أحيانًا كان يصل بي الحال إلي التحدث مع علبة الثقاب.
وكأن صاحبها يجلس الآن بجواري.
وكأية متعة في الكون لا تستمر كثيرًا وتمضي تاركة أناس لو عرفت مدي حزنهم ما تركتهم أبدًا..
عاودني مرض قديم.. أصبحت ملازمًا للفراش، لا أقدر على متابعة متعتي..
أتساءل ما مصير علبة الثقاب الآن؟
يزداد الوضع الصحي سوء بعد سوء..
أهذي، وأتخيل صاحب علبة الثقاب يدخل علي لزيارتي.. ويسألني مداعبًا.. عن قداحتي لسوء حظي أن القداحة هي التي معي الآن.
تمنيت لو أن علبة ثقابه هي التي معي، لأتحدث إليها....

تتدهور حالتي الصحية.. والنفسية أيضًا

ثم....

***

«سجين الحبس الانفرادي قد وافته المنية منذ لحظات..»

- وما سبب الوفاة؟

«دخلنا عليه محبسه، فلم نجد سوي علبة المهدئ فارغة.. وعلبتين ثقاب.. وولاعة!»

شيء عن الحزن والأسى

رفَعت عقيرتي.. وتخطي اسمه حيز الأمر بعقلي إلي حيز التنفيذ.. مرورا بأحبالي الصوتية، وتلك الكتلة المرنة التي تتوسط فمي والمسئولة عن نطق الحروف.. وناديته، بعد النداء الثاني تخيلت أنه لا يوجد أحد بالبيت ليلبي ندائي..

ولكنه طالعني بوجه باسم، وأشار لي أن أنتظر ريثما يتحول من وضع الخمول المنزلي إلى وضع الاستعداد لتمشيط الشوارع دون هدف.

كان صديقي منذ زمن..

عرفته..

أحسست براحة تجاهه..

أحببته..

ويسعدني أنه مر بتلك المراحل بالنسبة لي أيضًا.

وبقينا معًا..

فاجئني بعدم تبديل ملابسه، وبسؤالي عن هذا عرفت أن البيت بصدد استقبال شخص ما متقدم لخطبة شقيقته..

وبأن والده مقتنع لأبعد الحدود بهذا الشخص لتوافر كل الشروط التي

يتمناها أي أب لابنته..

تسمر نظري فترة قبل أن أنطق بلفظ المباركة، ولأول مرة أحسست بأنني غير مستعد للبقاء معه.. أحسست إنني أحتاج للبقاء مع نفسي أكثر..

احتجت وحدتي.

لم يكن يعرف أنني أحبها.. نعم، بكل كياني.. كبيرة هي تلك الفترة التي عشتها على أمل بأن نجتمع معًا..

طويل هو الليل الذي سهرته لأفكر فيها.. جميل هو العمر الذي قضيناه سويًا..

كانت إذا ضحكت، أشعر وكأن الكون ألوانه زاهية مبهجة.. إذا لمحتها تبكي.. ترتدي الحياة من حولي ثوب الحداد..

ماذا سأفعل دونها؟!.. ماذا سيبقي غير عذابات أسمع الآن صهيلها من بعيد..

أعرف أنه الموت...

كانت تبادلني نفس الشعور دون أن يلحظ صديقي..

لم أكن خائنًا يومًا، بل حافظت عليها مثلما حافظت على صداقتي معه..

استأذنت منه أن أذهب..

فسمح لي بالذهاب، مؤكدا أنه يجب أن يكون مع عائلته في مثل هذا الموقف.

أثناء عودتي..

لم يكن يشغل بالي غيرها.. فكرت فيها كثيرًا حتى أنهكني التفكير.

كان عقلي يعمل بكل طاقته عله يجد نقطة بيضاء وسط ذلك الرداء الداكن الذي ألقاه اليأس علي.

تمنيت الموت على العيش دونها.. وبعد تفكير..
ودموع..
أرشدني الجزء المسئول عن الكرامة بعقلي، لعدم استحقاقها لكل هذا العناء..
لماذا أحزن هكذا وعلى من أنزف كل هذي الدموع.. على إنسانة لم تقدر مشاعري..
تقبلت فكرة البعد وارتضت بغيري.. لا، لن أبقي هكذا.. سوف أخطو فوق كل هذي الأحزان.. عابرًا خط اليأس والحزن المطعّم بالمرارة إلى حياة أفضل..
دونها.
لن أقف دامع الأعين.. مرتعش الأعصاب.. محطم القلب والأمل...
في صباح يوم جديد ذهبت لصديقي ووقفت أسفل نافذة حجرته
رفعت عقيرتي وتخطى اسمه حيز الأمر بعقلي إلي حيز التنفيذ، مرورا بأحبالي الصوتية وتلك الكتلة المرنة التي تتوسط فمي والمسئولة عن نطق الحروف.. وناديته.
بعد النداء الثاني تخيلت أنه لا يوجد أحد بالمنزل ليلبي ندائي.. ولكني وقبل أن أنصرف وجدت من يربت على كتفي فاستدرت.. لأطالع وجه صديقي وقد شحبت ملامحه.. وعيناه تروي شيئا عن الحزن والآسي...
ينزوي على صدري كما الأطفال.. وينخرط في نوبة من البكاء لأستوضح من نحيبه أن شقيقته قد فارقت الحياة..
تاركة ورقة ولغزًا..
وجدت يده قابضة بقوة على الورقة.. فنزعتها لأعرف ما خط بها.. كانت

كلمات قليلة من الصعب أن يفهمها غيري.. تقول:
«هو من علمني كيف أري الحياة.. فلا حياة بدونه..
وداعًا.»

قبل ارتقاء المقصلة..

صوت باب السجن وهو يفتح في الأيام العادية.. صوتًا لا يحتمل..
فما بالك عندما تسمع ذات الإيقاع المزعج وأنت تنتظر..
نصل يلمع.. نهار مشمس.. وسط جمع غفير..
طلب معرفة اليوم بل والساعة بالتحديد.. طلب مقبول وطبيعي أيضا لمن لا يحبون المفاجآت.. خاصة الغير سارة!
ومنح معلومة التوقيت أمرًا لا يمثل لهم أية صعوبة ولا تكذب على نفسك بعد منحك المعلومة التي أردتها وتقول إنك استرحت..
فمعرفة متى يتوقف قلبك عن عزف إيقاعه المعتاد، شيء غير مريح بالمرة..
ولكن على الأقل تستطيع الآن تحديد كمية الهواء الباقية للتنفس..
وهل ستحضر العيد القادم أم لا ؟
وكم حركة ستتابعها لعقرب الثواني.. ذلك العقرب اللعين الذي إذا غار من زملائه الذين هم في نفس ساعته وحاول تقليدهم.. لطالت أعمارنا!
ولن تتهم الهواء بأنه في طريقه للانقراض، بل مازال موجودًا وسيظل محيطًا بالمكان.

ولكن.. لم يعد يلزمك منه غير القليل الذي يكفي فقط لكي ترتقي المقصلة.
عشر دقائق وينتهي كل شيء...
تري الآن استعراضًا متقنًا، يروي قصصًا مرت عليك دون صوت..
أيام عاصرتها....
أحداث تعرضت لها...
أحزان.. أفراح.. أيام عادية.
يجول العرض بخاطرك، في لحظات توقن أن ذاكرتك هي الأقوى على الأقل في مجرتك.
أفقت من شرودي وأفكاري، فإذا بي أعتليها..
نعم، لقد جاءت اللحظة واعتليت المقصلة.. إنها كما توصف لنا ونتخيلها في الروايات ولكنها مخيفة إلى حد أكبر.
دائمًا ما كنت أسبح بفكري نحو أحاسيس البطل فأشعر بما يشعر وهو يرتقيها فأتوتر لأجله..
تري هل يوجد من يتوتر لأجلي الآن؟
بل من يهتم لأمري؟
تري هل سيأتي أحدهم لإنقاذ الموقف مثلما يحدث في الروايات، أم من المفترض عدم الاعتماد على المعجزات.. من الواضح أنه لم يبق سوي الأماني الواهية للتمسك بها.
تكبيل اليدين لم يستغرق سوي بضع ثوان وبعد أخذ نفس عميق كانت الإجابة على السؤال المعتاد.. ما أمنيتك؟
أريد أن أري أمي...
فضحك الجميع وقال أحدهم.. نعدك بذلك.

أنك تماطل في محاوله لزيادة الثواني المتبقية لك.. فقد سبقتك أمك وأنت تعرف ذلك جيدًا..

وستلحق بها حالا لأكون قد حققت أمنيتك.

وقبل أن يسمح بنطق كلمة أخري من أي فرد..

لمع النصل.. في النهار المشمس.. ووسط الجمع الغفير....

وفي ثواني انتهى كل شيء..

ولا أعرف ما الذي يضطرني للتفكير فيما يفكر فيه الصاعد إلى المقصلة.

إلي متى سأظل أعذب نفسي بوضعها في مكان المذنب، في حين أن لا أحد غيري سينفذ الحكم على نفس المذنب.. لترتفع نفس اليد التي قد قيدت في مخيلتي..

ويلمع النصل.. في النهار المشمس.. ووسط الجمع الغفير..

كنت هناك!

ظللت أذهب للمكان برغم علمي بأن كل شيء انتهي.. اعتدت أن اجلس في مكان واحد.. وأنظر إلى مساحة خضراء كانت تجمعنا معًا..
فأنا لم أستطع الجلوس في المكان ذاته منذ افترقنا.. فاكتفيت بالنظر من بعيد، لم يقوى قلبي أن يطأ أرضًا كان بها أحبابي والآن لم يعودا هناك..
قبل أن أصل إلى مكاني الذي اعتدت الجلوس فيه، استقبل كتفي الأيسر اصطدام خفيف بأحد المارة، كان يسير بنفس اتجاهي.. ولكنه كان أسرع مني.. بحكم السن.. كانت ثمة ابتسامة تعلو وجهه المتصبب عرق.. تبادلنا الاعتذار بعد الصدام الخفيف، وأيضا تبادلنا رائحة عطورنا..
فذكرتني رائحة عطره بصديق قديم.. أو لنقل عمر قديم....
تابعته بعيني فإذا به يجلس في نفس المكان الذي كنت اجلس فيه منذ زمن..
المكان الذي أذهب كل يوم لأشاهده من بعيد وأسترجع بعضًا مما مضى..
كنا نجلس هنا دائمًا
نضحك.. نفكر..
نحزن.. نشارك..

كنا إذا ضاقت بنا الدنيا.. أو لم تضيق
نأتي هنا..
وبعد أن انتهي العيد وانفضت أغانيه.. أصبحت وحدي آتي كل يوم لأتذكر ما مضي..
أحيانا أجد نفسي مقتنعًا بفكرة:
«قد يبرأ الجرح والتذكار يحييه»
ولكني لا أقدر على مقاومة الحنين، فتقودني قدماي إلي هنا.. تخيلت نفسي مكان ذلك الذي يجلس هناك..
وتذكرت كيف كنت انتظرهم، وكيف كانوا يأتون متأخرين بعض الشيء..
ومن شدة دهشتي وجدت صديقاه وقد فعلوا نفس ما تخيلت.. فقابلهم هو بابتسامة معاتبًا على التأخير.
نفس الذي كنت افعله تمامًا!
وسرعان ما تحولت الابتسامة المعاتبة إلى ضحكات، وقد نسوا العتاب وانخرطوا في أحاديثهم.
وكلما تعالت الضحكات، كلما زاد بريق عيني من الدمع المحتبس..
جلسوا تقريبًا نفس المدة التي كنا نجلسها.. وقرروا الانصراف في وقت واحد.. تماما مثلما كنا نفعل
وقع أقدامهم ظل ينخفض صوته..
وأنا أتابعهم..
والصورة مشوشة من أثر الدموع..
وأيضًا.. ضعف البصر.
تمنيت أن أعود.. ولكن لم تلبث هذه الأمنية أن تلاشت بعدما تذكرت

المعاناة التي عشتها بعد افتقادهم.

فلم أرد تكرارها مرة أخري.. كنت آتي إلى هنا حتى أستعيد بعضًا مما عشت، ولكني اكتشفت أن ذاكرتي ليست بحاجة لتنشيط..

فبمجرد استنشاقي لعطر صديقي حتى تذكرت كل شيء، فقررت أن لا أعود إلي هنا مجددًا..

فذهبت.....

وخلفت ورائي دمعة كئيبة على أرضية المكان..دمعة، إذا نطقت ستحكي مئات الذكريات.. دمعة، تعرف عن معاناتي الكثير.. دمعة.. اعتقد أنها لن تجف ولن تهدأ، إلا مع إعلان انسحابي من الوجود.

لحظات ثقيلة.. قبل الرحيل!

إذا انتهي أجلي.. هل تحـزنين لفراقي؟
تخيلته يلقي هذا السؤال على مسامعي، فخفق قلبي بعنف لمجرد التفكير في موته.. فماذا افعل بدونه؟
ماذا يتبقى لي في هذا المكان؟.. ولماذا آتي إلى هنا بعد ذلك؟
حدقت في وجهه وأنا اشعر بأنه يفهمني، صحيح أنه ليس آدمياً..
ولكنني أرفض فكرة احتكار الإحساس والفهم، لنا فقط نحن الآدميين دون سوانا من المخلوقات الأخرى.. بل أؤكد بأن هذه المخلوقات تشعر بنا..
تحسنا..
تتألم من اجلنا...
وتفرح لرؤية الابتسامة تعلو وجوهنا.
قد يكون حديثي من واقع تجربة شخصية
ولكني دائمًا أؤكد أن السواد الأعظم لهذه الكائنات يشعر بما نشعر..
ويصله الأحاسيس كما تصلنا...
أعود لحديثي عنه..ذلك الرقيق، على الرغم من ضخامته..

ذلك البريء، على الرغم من قوته..
قد أكون حالمة.. وغير واقعية بعض الشيء.
كرأي بعض من البشر فينا، نحن معشر النساء.. ولكني مازلت أؤكد أنه كما أقول عنه تمامًا.
أسلمته منذ فتره لجهة متخصصة تحسن معاملته، وتقضي احتياجاته.. على وعد بأن نلتقي كل يوم، وبالفعل كنت اذهب.
كنت ألمح في عينيه الواسعتين روعة الحياة ونقائها، كنت أرى حريتي مع انطلاقاته.. ونهب أقدامه للمساحات الخضراء الواسعة التي تميز المكان.
اقضي ساعات معه.. متابعة..
منبهرة..
وأيضا مستمتعة.
تلقيت اتصالًا هاتفيًا من إدارة المكان ذات يوم، تطلب حضوري على وجه السرعة.. ذهبت وأنا أتمنى أن يكون طلب استدعائي مجرد إجراءات إدارية..
ولكن كان بداخل إحدى ممرات عقلي الضيقة المظلمة، تقبع فكرة أخري، كنت أتغاضي عن ذكرها بيني وبين نفسي.
فكرة حدوث مكروه..
كان القلق قد تمكن مني، وثمة اضطراب يزعزع سكون تلك الكتلة النابضة بصدري.. ولا أعرف لماذا كل هذه الأحاسيس؟
ولكني تأكدت عند وصولي.. من الفكرة التي كنت أتغاضى عن ذكرها.. فأي مكروه هذا أشد من أنه مريض..
هذا ما عرفته بمجرد وصولي.. إنه يرقد الآن في نفس المكان الذي اعتدت

أن أجده به.
ولكنه - ولأول مرة - لم يطلق ذلك الصوت عند رؤيتي..
لم ينطلق نحوي ليعانقني مثلما كان يفعل..
وضعت يدي فوق جسده أحفزه للنهوض.. كنت أتصور أنه بمجرد رؤيتي ووضع يدي عليه، سينهض ويزيح المرض جانبًا.
ونعود لنستمتع سويا..
لم ينهض.. ولم يستجب.
نظرت إلى وجه الطبيب المعالج علني أستخلص منه بعضًا من الاطمئنان..
وجدته يقف.. لا يحمل أي تعبير على وجهه..
بكيت كثيرًا قبل أن أسأله عن تطورات الحالة.. ولماذا وصل لها أصلاً؟
لم تتغير ملامح وجهه وهو يخبرني بنبره رتيبة ثابتة عن اسم المرض الذي لحق به..
بدا وكأنه ينطق مجرد مصطلح علمي..
لم يكن يشعر بما أشعر.
تركوني معه بناءًا على طلبي..
جلست جواره أبكي.. أعاتبه على عدم قيامه من مرقده لاستقبالي...
أعاتبه على تركي هكذا.. أبكي دون الاستجابة لدموعي المنهمرة..
أعاتبه على إصباغ حياتي بلون داكن كئيب..
مضى وقت طويل......
لا أعرف كم من الوقت قد مضي.. ولكن ما مضى كان يساوي عندي عمرًا..
بطيئة هي الثواني وأنا أشاهده راقدًا هكذا..
ثقيلة هي اللحظات وأنا اشعر به يتألم.

دخل الطبيب..
تحسس جزءًا من جسده..
وأخبرني بما كنت أخاف..
لقد فارق الحياة.
انهرت بمجرد سماعي الخبر..
نظرت إليه..
تمنيت لو نهض ليحطم كل نظريات الطب.. ويعيد ترتيب الأوراق بالنسبة للأطباء.
تمنيت لو أسمع صوته ثانية.. تمنيت لو أمتطيه ونذهب بعيدًا عن العيون التي تحاصرنا..
تمنيت لو فعل أي شيء غير رقدته هكذا دون حراك..
تزاحمت الأمنيات بذهني..
تراقصت الصورة بعيني..
من أثر التوتر..
والدمع..
وانفلات الأعصاب.
قررت ترك المكان لأذهب بعيدًا.. وانفرد بحزني.
نهضت وألقيت نظرة أخيرة عليه.. وأثناء ابتعادي اختلط مع صوت خطواتي صوت الطبيب وهو يقول جملة، تأكدت عند سماعي لها من أنه لم يفهم شيء.. ولن يفهم.
وكانت جملته هي:
«لماذا كل هذا الحزن.. إنه مجرد حيوان انتهي أجله!!»

ليتني ما فعلت..!

نظرت إليه وأحسست برغبة في محادثته.. فأنا لم أتحدث مع شخص منذ فترة ليست بالقليلة.

تلك الرغبة التي سمحت لي أن أتابع حديث معه كان يدور بذهني قبل ملاقاته.. ولم يكن يشغل بالي من أين أبدأ الحوار.. أو الاستئذان قبل بدء الحديث..

أو هل سيهتم بما سأقول أم لا..؟

كل ما كان يشغلني أن أتحدث مع شخص أخر.. بل والاهم أن أسمع صوتًا غير صوتي يحدثني.

فقلت:

«لم تعد أرض الوطن تليق بأحد.. أذكر منذ فترة عندما جلست مع حبيبتي الوحيدة أقنعها بفكرة السفر، من يومها لم أرها حتى الآن.. تركتني لاعتراضها على طريقة تفكيري وهي الآن أم لطفلين.. هكذا سمعت عنها. كنت أحبها حبًا شديدًا وكانت تبادلني نفس الشعور.. أيام قضيناها سويًا، وذكريات كثيرة عشناها..

كانت أمي تحبها كثيرًا وكانت تـقول إنها بنت بشوشة، محمودة الطباع...»

نظرت إلى وجهه، الذي بدا وكأنه لم يستوعب كم المعلومات الموجهة إليه، فلم أكترث لملامحه.. وتابعت:

«كانت أمي إنسانة طيبة إلي حد كبير.. أقول كانت، لأنها رحلت وتركتنا. لكن أبي مازال يعيش في صراع مع المرض.. طيب هو الأخر ذلك الرجل.. لم يدخر نصيحة، ولم يبخل علي بنقل أية خبرات اكتسبها من حياته.. كثيرًا ما جلسنا أنا وأخي لنستمع لكلامه الحكيم، ولكن أخي - هداه الله - لم يكن يهتم بأبي ولا بكلامه.. كان قاسيًا جاحدًا.. وأقول كان.. لأنني قطعت صلتي به منذ زمن..

دائما ما كان يشقيني ويحزنني، بأفعاله معي ومع أمي وأبي أيضًا.»

لم ينطق الرجل بكلمة واحدة طوال حديثي معه وتمنيت لو فعل.. لأنني لم أسمع صوت أحد يحدثني في الفترة الأخيرة غير صوتي أنا.. ذلك الصوت الذي حفظت نبراته.. ومللت من إيقاعه طوال الفترة الماضية.

فرح قلبي كثيرًا لأن الرجل بدا وكأنه سينطق بشيء.. وكأنه أراد أن يمنحني نغمة جديدة تمتع أذني.

وبالفعل قطع الرجل كلامي ورفع عقيرته.. وقال:

«على جنب يا أسطى!!»

ما بين الأبيض والأسود

أين الجميع ؟؟

لماذا أنا وحدي؟

أهرب كالفأر المذعور...

كلما التحقت بمخبأ، تدور عيني لتبحث عـن آخر.

المنحنى البياني لنجاتي يسجل أقل معدلاته، في حين أن منحنى وفاتي يتخطي كل التوقعات.

كلما تذكرت أنني منذ ساعات قليلة كنت وسط جيشي، تتضاعـف نسبة الحزن في قلبي.. وأتمنى الرجوع.

شعوري بالخطر يعلو و يتزايد.. كإيـقاع طبول الحرب.

أصبحت كل أمنياتي الآن نجاح ولو محاولة مـن محاولاتي للهروب. ما عدت أفعل غير شيء واحد.. أتقافز مـن مكان إلى آخـر.. متمنيًا الوصول إلى مكان أقل ضررًا.. حتى أنجو أو على الأقل تـزيد نسبة نجاتي..

أخطو فوق أرض لم تدنسها أقدام الخصم.. أراض مازالت نقية بيضاء.. فأشعر بالطمأنينة بعض الشيء..

ولكني أعود لأتعرض لتهديد جديد، فيضطرونني للهرب إلى أراضى

سوداء تشبههم.
أشعر بخطر قريب الآن..
ما كنت أتخيل أن يحدث ذلك لي...
هروب دائم....
معول الخوف يحطم قلبي بقسوة بالغة...
مخاطر كثيرة تلاحقني أينما ذهبت..
كنت ملكًا..
جيش وحرس..كنت بأمان وسط هؤلاء، والآن أنا هنا أحمي نفسي بالهروب.. أنظر حولي.. بارتياع.
وإذا بخطر أمامي مباشرة فأضغط على برامج عقلي وأقسو عليه عله يرسم خطة سريعة للهرب..
فيعجز عن هذا لأن المعتديـن نسجوا خيوط الغدر ليفتكوا بي بأسلوب دقيق.. مما لا يدع لي مجالًا للهرب.. ففكرت أن أستسلم ولكـن حب الحياة جعلني أقاوم.. هداني عقلي أخيـرًا لحركه تخلصني من التهديد لنقل مؤقتا..
ولكنني مازلت محاصـرًا.. أنتظر خطتهم القادمة بيأس وآمالي تتضاءل مع كل نفس يترك رئتي وحيدة ويمضي..
لم تكن هجماتهم السابقة بهذه الشراسة...
ولكن الآن أشعر أنني منتظر النهاية..
منتظر الهجمة الأخيرة
أنا متأكد إنها.. الأخيرة
فإحساسي بالخطر يصل إلي عنان نفسي.. أسمع بوضوح الآن كل شيء

حولي، فأشعر بالدوار يبدو أنني سأموت قبل الهجمة الأخيـرة سأموت من الانتظار والترقـب.. أشعر بمرارة شديدة في حلقي لا أعرف هل هي مرارة الهزيمة..

أم مرارة الحسـرة على العمر الضائع أم الحسرة على الجاه الزائل..

أشعر باقترابهم.. أسمعهم.. أحسهم..

هذه المرة لم يكن بوسعي الفرار وأدركت أنها النهاية.

نظرت لعيونهم فلمحت القسوة والشماتة والزهو بالانتصار.. فانهرت أمامهم.. ووسط قسوة المشهد لم يكن ذهني يردد غير كلمه واحدة..

كلمه.. عشت العمر أخشاها..

وقضيت العمر أتغاضى عن ذكرها.. كانت إذا ومضت بعقلي قلبي يرد بنبضات سريعة خائفة.. كنت أبغضها و ما كنت أتخيل أن أسمعها يوما من عدوي..

سقطت أرضًا والكلمة تقسو على مسامعي وتجتاح كياني.. وتمـزق قلبي..

Check mate!!!